الأديب العربي ومشكلات الالتزام

بقلم الدكتورة سهير القلماوي

كنا يوم اجتماعنا في مؤتمرنا السابع في بغداد من اكثر من عامين ونصف متلهفين لان نعرف هل يؤدي الاديب العربي دوره في المعركة وما هي العوائق او الصعاب التي تعترض طريقه ومن هنا جاءت نداءاتنا بحرية الاديب وبضرورة التمكين لتراثنا العظيم من ان يؤدي دوره الضخم الفعال ويحل مشكلات النشر والتوزيع اي مشكلات اللقاءالاديب بجمهوره . وكان قربنا النسبي من النتائج الاولى للمعركة يتحكم في كثير من مرئياتنا وافكارنا ويحكم تصورنا وما قدرناه انذاك ممكن العمل سهل التحقيق .

ولقاؤنا في هذا المؤتمر الثامن هو الدليل على هذه اللهفة المتجددة والبرهان على ان ضمير الادباء العرب ينوء بمسؤولية ضخمة لا يكفي ازاءها ان يدرك الاديب انه ملتزم بالقضية قد نذر قلمه وفعله للمعركة حتى النصر ، وانما هو يريد ان يلقي رفقاء سلاح الكلمة ليتدارس ما فعل وما يمكن ان يفعل . ذلك ان الايام قد اثبتت ان المعركة ليست طويلة شاقة فحسب ولكنها ايضا مراوغة لا تتحكم فيها معطيات علم السياسة كما عرفناه حتى اليوم ولست اقول منطق الحق اوالعقل لان السياسة الدولية لا تعترف بحق ولا بعقل .

وكنا في مؤتمرنا السابق حريصين على ان نستعرض نتاجنا الادبي وخاصة بعد الخامس من حزيران لنرى من خلال العرض ماذا استطاع الاديب ان ينجز في هذه الفترة . ولقد استعرضنا هذا النتاج فيجملة دراسات لاحقة للمؤتمر فدرسنا شعر المعركة وقصصها ورواياتها ومسرحها وحللنا هذا النتاج في مجلاتنا الادبية واستطاع كثيرون ان يشيروا الى تطلعاتهم في هذا المجال .

وباستعراض هذه الابحاث وقد اطلعت عليها قدر المستطاعخرجت بنتائج اجملها في مستهل بحثي لمقدمة موضوعي الذي ارى انتهاز فرصة تجمعنا لنفكر فيه جميعا ونخرج منه بعلامات هادية على طريق نضال الادباء في المعركة . ان اهم هذه النتائج هي ان ادب المعركة لم يولد مع الهزيمة في الجولة الاولى يوم ٥ حزيران (يونيو) وانما كان هناك ادب قبل المعركة يتنبأ ،كما يجب لكل ادب ان يتنبأ، بان المجتمع العربي يجتاز فترة انحلال وتجزؤ ونفسخ داخلي حتى داخل القطر الواحد لا بد مؤدية الى كارثة وشيكة . لقد نقد الاوضاع كثيرون من الادباء حتى الذين كانوا يوافقون على الخطوط العريضة او العامة . ذلك انهم كانوا يرون خيانة ما في طريقة التنفيذ او عبثا واضحا ببعض القيم الاساسية . ومع كثير من الاحداث الخطيرة المؤسية مثل حدث تحطيم اول صورة تنفيذية للوحدة العربية سطعت الاضواء امام نظر الاديب ليرى امراض المجتمع العربي وان لم يوفق في كثير من الاحيان الى استشفاف المستقبل الكفيل بازالتها او الوسائل المؤدية الى تغيير المجتمع تغييرا جذريا .

كذلك استطاعت هذه الدراسات ان تبين المراحل المختلفة التي مر بها ادب المعركة قبل الهزيمة وبعدها عند شاعر خاص مثلا كالشاعر محمود درويش ودراسة الناقد الدكتور عبدالقادر القط له (مجلة المجلة مارس سنة ١٩٧١) او في المسرح والقصة مثلمافعل الناقد غالي شكري في بحثه في المؤتمر السابع او في الرواية وحدها في اخر بحث له في مجلة الطليعة (اغسطس سنة ١٩٧١) او في الادب عامة كما نجد في بحث الدكتور شكري عياد في المؤتمر السابع او في الشعر خاصة كما نجد في بحث الاستاذ خيري حماد للمؤتمر السابق . وهذه المراحل تبين اختلاف موقف الاديب من التنبؤ بالمأساة مثلما نجد في شعر ابراهيم طوقان والخطيب وابو سلمى الى البكاء على حدوث المأساة واقامة دولة اسرائيل على تل من جماجم كل القيم الانسانية وكل القوانين الدولية ثم الى الايمان بضرورة المعركة الطويلة والحث على الثورة حتى جاء الخامس من حزيران المشؤوم فهب الشعراء خاصة يعذبون الذات يصرخونويلطمون الخدود وفي لسعة الحزن العميق يتهمون ، حتى افقنا من الهول على واقع صلد جامد يحتاج منا الى عزيمة الصمود ولهيب الفداء لتغييره .

ولست استطيع ان اعرض لكل هذه الدراسات ولم اشر الا الى بعضها ولا ان اغمطها حقها في مواكبة آنية لادب هو في نظري آنيايضا ولكنه كله علامة على الطريق . فهذه الدراسات الجادة قد حاولتان تستلهم واقع هذا الادب وان تشير في وضوح وربما في بساطة ايضا الى الدور المنتظر لهذا الادب ما دامت المعركة مستمرة وما دمنا ما نزال نتطلع الى نصر حاسم فيها .

واننا جميعا قد قرأنا وسمعنا الكثير من هذه الاعمال الفنية منها ما اثار فينا فكرا او انفعالا ومنها ما خرجنا من معاناة

تجربته بشيء من الفتور او السخط احيانا اخرى وكنا بعد ان نعود الى انفسنا في كل مرة نحاول الاجابة على سؤال ما يزال يتردد كيف يمكن للادباء والشعراء فعلا ان يقوموا بدور اقوى واشد في سبيل النصر في معركة المصير .

اما ان الاديب الحديث ملتزم بقاضايا قومه وعصره فهذه بديهية لم يعد يناقشها احد ومنذ ان افاق العالم الغربي على حالة التفسخ التي قادته الى حرب عالمية ثانية خرج فيها المنتصر والمنهزم مهزوميين والنقاد شرقا وغربا قد قتلوا هذه القضية بحثا . واخذت جمعياتهم ومؤسساتهم وافرادهم يعملون من اجل ما سموه بالسلام ، وعلى قبر الضحية الرامز لمأساة هيروشيما ونكازاكي التي عرت الامبريالية الاميركية وفضحتها . نقش اليابانيون هذه العبارة « حتى لا يحدث هذا مرة اخرى » نعم حتى لا يموت ملايين البشر في سبيل اطماع الاستعمار والامبريالية يجب ان نذكر دائما ان علينا واجبا مقدسا. ولقد وضعت منظمة اليونسكو التابعة لهيئة الامم هذا القول شعارا لها ما دامت الحروب تنبت اصلا في عقل الانسان ففي عقل الانسان يجب ان تبنى معاقل السلام » .

ونسأل انفسنا في مرارة ماذا فعلت هذه الاقوال وهي ما زالت شعارات انسانية رفيعة في سبيل السلام في سبيل الا يحدث هذا مرة اخرى .

اذا كنا نحاسب على سياسة او اقتصاد فان الحساب عسير ولكنا اذا كنا نحاسب على دور الفن والادباء خاصة فاننا ولا شك نستطيع ان نتطلع الى المستقبل في تفاؤل نسبي . ولهذا فان ادباءنا يستطيعون الكثير لو ان جهادهم بالكلمة فتح لهم افاقا جديدة لا لمجرد الاخذ عن الغير ولكن للمساهمة بدورهم في سبيل السلام . السلام العادل في الوطن العربي اولا ثم في العالم كله . فليست هناك امكانية انعزال هنا وهناك حرب فيتنام حرب الهند وباكستان الاستعمار في افريقيا ومشكلات التفرقة العنصرية احتلال ايران لجزر الخليج العربي كل هذه وغيرها وجوه متعددة لنشاط اعداء السلام وكلها بلا استثناء تعكس اوضاعها وتاخذ وتعطي من قضيتنا العربية ومن حربنا مع اعداء السلام.

وهكذا نجد ان عالمية الجهود من اجل السلام لا بد ان تكون نبراسا يستعين به الاديب العربي حتى لا تفقد قضيتنا بانحصارها او محدوديتها ثقلها الدولي سياسيا او ثقلها الانساني فنيا .واقصد بثقلها الانساني فرصة الانفتاح على نماذج من متعددة من كفاح الانسان اينما كان في سبيل ان يتخطى بارادته الحرة الثائرة واقعا لا يرضاه لانسانيته وفرصة الانفتاح على الفكر الحر والاداء الخصبة بل فرصة الانفتاح ايضا على التجارب الفنية شعرا ونثرا ومسرحا وقصة في سبيل تليين القوالب وتطويع الاشكال لتحمل اشواق الاديب وتطلعنا الى الجماهير العريضة التي يعبر عنها وبنطبق بلسانها . ولكن النقاد شرقا وغربا خارج الوطن العربي ان كانوا قد انتهوا من حسم قضية الالتزام فانهم ما يزالون يختلفون فيكيفية القيام بدور الملتزم ما هذا الذي يلتزم به الفنان وكيف يلتزم به بل كيف يطوع الاشكال الفنية لتعبر عنهذا الالتزام .

وفي سبيل الرد عما يلتزم به الاديب او الفنان لا يكفي ان تقول انه يلتزم بقضايا المجتمع او الناس او الجمهور اذ اننا نتساءل منالذي يبلور هذه القضية ، والاهم منذا الذي يرسم الجهاد في سبيلها ويضع الهدف القريب والبعيد لهذا الجهاد . مرة اخرى انهم المفكرون في كل امة وكل عصر والادباء من هؤلاء المفكرين دون ريب صحيح انه عندما تختفي من حياة الناس القوة التي توحد فيما بينهم وعندما تبدو متناقضات المجتمع وكانما لها كيان مستقل يتضخم بمرور الزمن وبسلبية افراد المجتمع فتنشا الحاجة فعلا الى فلسفة تستهدف التغيير ولكن هذه الفلسفة ليست من صنع فلاسفة بالمعنى القديم انها من صنع المفكرين بل ليس المفكرين وحدهم وانما هم المفكرون المتفاعلون مع الجمهور الصاحب الاول لكل قضية اجتماعية والمجاهد الاصلي في كل جهاد في سبيل التغيير الجذري الذي من دونه لا يمكن ان تقوم معركة .

ومجتمعنا العربي مملوء بالمتناقضات المتضخمة ولا بد لنا من فلسفة سياسية واجتماعية واقتصادية متكاملة هي خلاصة فكر المفكرين العرب وجهاد الامة العربية العريضة بحيث تتضح لنا معالم القضية العربية العامة الشاملة . ان معركة المصير المحتومة مع العدو ليست بداية المطاف ولا نهايته وحتى النصر واسترداد الارض السليبة ليس هو نهاية المطاف انه خطوة اساسية على الطريق ولكن طريق العرب ممتد الى آفاق اوسع وارحب .

ان قضية العرب هي تحقيق وجود الانسان العربي بكل امكانيات العمل الخلاق في سبيل عيشه وفي سبيل تحقيق ذاته وفي سبيل مساهمته الفعالة في الاحداث التي تصنع بها الانسانية مستقبل البشرية كلها . ان للعرب تاريخهم وفلسفتهم وواقعهم وكيانهم الانساني المتميز من وجهة والمتحد مع سائر الكائنات الانسانية من جهة اخرى. وكل هذا يحتاج الى جهود فلسفية وعلمية لاستبيان حقيقته واستخراج خصائصه وايجاد فلسفة او ايديولوجية عربية حقة . ايديولوجية لا تهدف الى مجرد الرفاء المادي او التقدم العلمي وانما هي تستهدف تحقيق الذات الانسانية عن طريق العمل الخلاق والثورة المتجددة والارادة الحرة .

والتراث والواقع في العالم العربي لا بد من ان يتفاعلا في عقل المفكر العربي المعاصر لاستخراج هذه الايديولوجية الجديدة التي سترفع راياتها في الجهاد وبعد الجهاد لتكون لنا نبراسا على هديه تحقق الوجود العربي الكريم . ولا يمكن لاية ايديولوجية مستوردة ان تقوم مقام الايديولوجية المستوحاة من واقعنا المبنية على ما يجب ان يبقى من تراثنا والتي يمكن ان ترسم لنا من خلال تطلعاتنا ماذا سيكون عليه التطور العربي في الغد .

ان شعارات الكفاح في معركتنا المصيرية والهتاف الحماس الجماهيري لخوض معركة التحرير ليست على اهميتها وخطرها كل شيء . بل انها ليست وهذا ما احب ان اؤكده مما يترفع عنه الاديب او المفكر ولكنها وحدها لن تؤدي الى اعمال موقوتة محددة وانجازات صغيرة مشكوك في فعاليتها . ولا بد من فلسفة عربية تصنعكل هذه الاعمال الآنية في سلسلة البطولات المطلوبة التي من حصيلتها تصل الى البناء الشامخ المحقق لتطلعات الشعب العربي في المستقبل الفسيح الافاق .

ولست بحاجة الى القول بان تاريخنا الحديث والوسيط مختلف اختلافا كليا عن تاريخ اوروبا الحديث والوسيط وان العامل العربي او المصري لم يمر بنفس التجارب التي مر بها العامل الاوروبيعندما غزت الآلة عندهم كل مرافق الحياة وتضخم الانتاج وانعدمت الصلة الروحية بين المنتج والسلعة والمستهلك وتجاربهم الاخرى الكثيرة ، بل ان الفلاح العربي لم يشهد بعد عصر المكننة في العمل الزراعيكل هذا يحتاج منا الى دراسة الواقع العربي تفصيلا حتى نصل مستفيدينبكل الفلسفات العالمية والايديولوجيات المختلفة الى فلسفتنا العربية ، صحيح ان هذا لن يؤجل معركتنا او يخفف من سرعة خطاها وصحيح ان هذا لا يمنع من ان نصب جهودنا في سبيلتحرير الانسان الحديث من الاستعمار والامبريالية الدولية ولكنا ما دمنا نؤمن باننا لا بد ان نحارب ونبنى معا وفي وقت واحد فان البناء يكون ارسخ قدما واوضح خطة لو اننا عرفنا كيف نبني وبهدف ماذا نبني وكذلك فان حربنا ستزداد قوة وحرارة وحيوية لو عرفنا اننا انما نحارب في سبيل غايات قريبة واخرى بعيدة وانها كلها تحقق تطلعاتنا شعبا وافرادا التي شكلناها على نحو بعيد . واخيرا لا بد

ان نذكر دائما ان ثورتنا متجددة ابدا وان تطلعاتنا لا نهاية لآفاقها .

تأتي بعد ذلك المشكلة الفنية الحقة وليس كيفية التعبير عن فلسفتنا العربية . اننا على مدى تاريخ طويل قد اوجدنا تقاليد فنية وصقلنا ادوات موروثة ، كما طوعنا ادوات واشكالا مستوردة . ولكنا فيما ازعم نواجه مشكلات تعبير خاصة تحتاج منا الى اعمال فكرنا الخاص في سبيل ان نتغلب عليها . لنا من تقاليدنا مثلا ان الفن كان دائما في خدمة الجماعة حتى وان انحرف في بعض عصور الانحراف فقد كان الفن الرسمي ينحرف احيانا ولكنه الفن الشعبي ظل معبرا عن الشعب حاملا اشواقه واحلامه وتطلعاته . لذلك قد نفيد من دراسات تصور دور الفنان في حضارات غربية ولكنا لا نستطيع ان نطبقها كما هي على حالنا . دور المنشد الشعبي كان عندهم شاعرا ممتازا او رئيسا للجوقة او الى غير ذلك من صور ، والمنشد الشعبي كان عندنا شعبيا بكل معنى الكلمة لا يمتاز الا بموهبته المحدودة التي تبعده عن جمهوره لقد ظل من صميم الشعب طوال العصور وعلى مدى الازمان. اتصال الفن بالسحر وبالاديان ودور الاسطورة موضوعات رئيسية في الفن الواقعي بل في الواقعية الاشتراكية في الفن ايضا فهل يمكن ان نقارن هذا الاتصال كما تجلى عندهم بصورته التي تجلت عندنا قد نستفيد من الدراسات ولكنالانستطيع ان ننقلها من بيئتها ونلون لها لنؤقلمها عندنا . نجد في تاريخ المذاهب الفنية مثلا مجموعة من المحاولات التي قصد بها احياء الفن والادب بعد ان انهارت انظمة قديمة بقيمها الثابتة واخذت انظمة جديدة بقيمها الثورية المتجددة تحل محلها ، وبتغير العلاقات الاجتماعية كلها ، علاقة العامل بحركة الانتاج اداة وسلعة ومستهلكا وبحركة انحسار البرجوازية امام الفكر الاشتراكي الجديد . هذه المحاولات التي تسمى سماء عديدة واقعية او وجودية او رمزية او مصطلحات اخرى من دنيا الفن التشكيلي او من دنيا الفلسفة كالعدمية والتفتت واللانسانية والشيئية لا شك انها درست دراسات مثمرة لذيذة واثارت حولها جدلا عنيفا واثارت السبيل امام كثير من المبدعين كتابا وشعراء وفنانين وفتحت الآفاق للتجديد المستمر وللتعبير المستحدث ولكنا ننسى في غمرة التفكير فيها انها لا تمت الى واقع ادبنا الا بصلات محدودة حقا كانت عندنا مذاهب ادبية تتبنى الفن البرجوازي وتدافع عنه . هل كانت عندنا ثورة برجوازية على الاقطاع اوجدت رومانسية ثائرة ثم تداعت القيم البرجوازية امام واقع جديد فأدى ذلك الى حيل فنية او مستحدثات في سبيل البقاء ، بقاء الاشكال البرجوازية في الفن . اذا لم يكن عندنا هذا بتفصيلاته فهل كان موجودا في عمومياته . كل هذه امور لا تحتاج الى نفي ثم اخفاء رأس النعامة في الرمال انها تحتاج منا الى دراسة جادة قبل النفي او الاثبات دراسة لواقع المجتمع وللتغيرات التي حدثت فيه ولانعكاس هذا كله على الادب ولدور الادب في احداث التغيرات الثورية التي تمت في العالم العربي .

كذلك موقف الدين وعلماء الدين من حركاتنا الوطنية ودور الدين في فلسفتنا وتغلغله في حياتنا اليومية واثر النص القرآني الكريم وهو ذروة في الروعة الفنية ، ولقد يقرأ مرات ومرات يوميا وتعتاده الاذن العربية حتى الاذن الامية ، ثم اثر كل هذا في الفكر وفي الاداء وفي اللغة ذاتها التي يعبر بها الاديب . هذه كلها مشكلات وقضايا ولا تعارض بين ان نسير قدما في نضالنا ومعاركنا من اجل التحرير وفي الوقت نفسه تتخذ هذه الموضوعات اهميتها ومكانتها من عملنا البناء في سبيل تغيير المجتمع عن طريق الفكر .

اما مسألة علاقة الفن بالدعاية فهذه ايضا من اهم ، ان لم تكن اهم ، نقاط الرد على كيف يعبر الاديب الملتزم عن فكره وعاطفته ازاء مشكلات المجتمع وقضاياه . ان المباشرة التي ظهرت على اعمالنا الفنية عقب النكسة بل قبلها ايضا مسئولة ولا شك عن تعطيل دور الادب وفقدانه السحر الذي يجب له ليؤثر في الجماهير . لقد عيبت المباشرة على الاعمال المسرحية على مسرح نعمان عاشور والفريد فرج ويوسف ادريس والشرقاوي ، ولقد حاول كل منهم بطريقته ان يفر من المباشرة اما الى التاريخ او الفانتازيا او الخيال والوهم ولكن ما زالت القضية غير متعمقة بسبب صعوبات التعبير غير المباشر في القضايا الراهنة وكذلك يتسم بالمباشرة المفقدة للجمال الفني كثير من مسرح لادباء الفلسطينيين انفسهم وشعرائهم مثل معين بسيسو في ثورة الزنج وشمشون ودليلة حتى شعراء الارض المحتلة على ما في شعرهم من نفحات الارض الحبيبة وحرارة المعاناة الواقعية ونار الثورة الحقة . لقد كان شعر درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وفدوى طوقان نفحة جديدة ملتهبة صادقة للتعبير عن مأساة الحقائق في نكسة حزيران ولكن المباشرة التي يقتضيها الغرب الشديد من التجربة وربما الانفعال المضخم بها قد ازرت بغير قليل من فنية هذا الشعر مما افقده اثره العميق الدائم .

وهنا يثور السؤال الجوهري في موضوع الالتزام وهو موضوع اطاق عليه خطأ اسم الشكل والمضمون وفصل فصلا تعسفيا بين شكل ومضمون في حين ان الفن يرفض هذا التقسيم رفضا باتا . لا يمكن لمضمون الا ان يفرض نفسه على الشكل فاذا كان المضمون فجا من الناحية الانسانية او الفنية فرض فجاجته على الشكل الفني . حتى في الموسيقى عندما يخفت دور المضمون ويكون الفن او يكاد ان يكون شكلا صرفا نجد الموضوع او المضمون يعرض نفسه ، يستبعد ايحاءات معينة من انواع بعينها من الموسيقى ، ويضرب النقاد لذلك مثلا بمرثية لينين الموسيقية وهل يمكن للحن يوحي بالقداسة الدينية او المارشات الجنائزية الاسطورية ان يدخل في نسيج لحن رثاء رجل مثل لينين وكذلك هل يمكن للالحان الحربية والاناشيد الحربية ان توحي برثاء رجل ليست عظمته عظمة حربية باي حال . وهكذا نجد الدراسات العديدة التي اثبتت بشتى الطرق كيف ان الشكل والمضمون كل لا يتجزأ .

وجاءت وسائل الاعلام الحديثة ففرضت بقوتها الجبارة تغيرات هامة في اداة الادب وشكله ، لقد احتضنت اول الامر اشكالا من الادب كالمسرحية والشعر والقصة القصيرة ثم اخذت تنشىء اشكالا جديدة خاصة بها في هذه النواحي . واكتفت بأن تستلهم المسرحية الادبية مؤكدة ضرورة نمو المسرحية الاذاعية باسلوب اخر ، وكذلك الشأن في القصة . ثم وقفت من الشعر موقفا مختلفا احيته بالانشاد بصوت الشاعر نفسه وما زالت حائرة في وسائل ايصاله عن طريق مصاحبة اللحن والصور الخاصة ولكنها كلها تجارب . ووقفت اشكالنا الادبية على تخوم هذه المشكلة ولم تدخلها بعد . لقد ترفع الادباء عن ادب الدعاية وهذا موقف لا يتمشى اطلاقا مع متطلبات المعركة . ان الادباء العرب لا بد ان ينزلوا بكل ثقلهم لتطوروا ما استطاعوا اساليب الدعاية واشكالها ، فهي الصلة الواقعية بالجماهير العريضة اى هي الصلة الحقة بالجنود الاصلاء في المعركة. على ان يعرفوا ويعترفوا ان ادب الدعاية ليس الادب بمفهومه المتعارف عليه وانه وهذا هام جدا لا ضير اطلاقا ان ينشىء الاديب نوعين من الادب مساهمة منه في الا تترك الجماهير فريسة الاساليب التافهة والمفاهيم المتخلفة التي تلجأ اليها الدعاية في غياب ما هو افضل فتكتفي بما يستطيعه خراؤها . ان خبير الدعاية خبير في اعداد بعض المواد وخبير في العرض والاداء ولكن محتوى المادة لا بد للادباء من ان يسهموا فيه عن قصد وعمد وبارادة واضحة. لا بد للاديب من ان يحاول اتقان الوسائل والاساليب التي تجعل

ـ التتمة على الصفحة ـ ٩٦ ـ

تتمة الاديب العربي ومشكلات الالتزام

تابع المنشور على الصفحة ٤

صوته يصل الى الجماهير العريضة وفي الوقت نفسه لا بد ان يظل امينا لسلاحه الاستراتيجي العميق سلاح الفن الحق بالاسلوب الخالد على الزمن . معنى هذا اننا مضطرون في ظروف حياتنا وانتشار الاميه بين جماهير الامة العربية من ان تحارب في جبهتين جبهة الدعاية السريعة الفعل وجبهة الفن الخالد الاثر وفي وقت واحد ان استطعنا وبنظرة واعية الى اهمية الادب الدعائي وضرورته وجلال خطره . اننا يجب ان نتقن لغة الجماهير وان نحيي آدبها وفنونها باسلوب علمي وليس بالاساليب المشوهة المبتذلة التي نتبعها الآن جاعلين كل هابط فلوكلورا وكل تافه فنا جماهيريا ان فن الجماهير فن واحد في نواح عدة علينا ان نتبينها وان نقويها وان ندرس من خلال هذا الفن تقاليد الجماهير وذوقها الذي لا بد ان يؤثر فيما يقدم له من زاد دعائي . لست في موقف الدفاع او الهجوم وانما انا في موقف ارى ان متطلبات المعركة تفرض على الاديب اساليب كفاح.

اما الادب الحق الذي لا يستهدف البساطة وان يكن بسيطا ولا المباشرة باي حال فانه لا بد ان يغير من اسلوبه . لقد تغيرت الصلة بين الاديب ومجتمعه ولست اقول ان كان يكتب لقلة واليوم يجب ان يكتب لكثرة فحسب وانما موقفه من العالم كله ومن قضايا الانسان قد تغير ، كان الفنان اذا ما ضحنته متناقضات عصره يهرب الى الطبيعة ويدفن غربته في قمرها ونجومها بل في نباتها وحيوانها . واليوم اذا اراد هروبا من واقعه فلا بد له من ان يهرب الى الشعب الذي يعاني مثله والشعب الذي لا تملك حتى اليوم وسائل الهروب الى الطبيعة وهو بنظرته السليمة يهرب الى اخيه الانسان يشكو همه ويبثه لواعجه وقد يهرب الى حبيبة واقعية او متخيلة يجد في دفء عاطفته نحوها عزاء عن برودة الحديد الذي يكبله ويشل ملكاته ويفقده حريته .

كان طاغور شاعر الهند الاكبر يفرمن آلام المجتمع حسب اسلوب عصره الى الطبيعة من حوله كان يناجي الليل باسلوبه البارع فيقول: وقفت ليلة امس وحيدا وسط ظلمة الليل التي سقطت على الكائنات كلها ، وقفت انصت الى صوت مغنى الانغام الابدية ، ولما اغمضت جفني لانام كان هذا الخاطر يلح علي انه حتى عندما اغيب عن وعيي ستظل رقصة الحياة مستمرة على ساحة جسدي الخرساء الصامتة في ضربات منسجمة مع حركة النجوم سيخفق القلب ، وسيتدفق الدم صاعدا في عروقي وملايين الذرات الحية في جسدي ستظل ترتعش رعشة الحياة في اتساق وانسجام على اوتار القيثار التي تهتز بلمسة الخالق السيد . »

واليوم نريد للشاعر العربي ان يهرب من متناقضات المجتمع الى اخوانه الذين يعانون مثله ليشد من ازرهم وليقوي ارادة الثورة والتغيير فيهم ليسير بهم ومعهم الى احداث الثورة المطلوبة ثورة متجددة ثورة تجعل الكائنات وقلب الشاعر وقلب الشعب وحركات الثورة كلها سيمفونية جميلة نسمعها في الليل من قيثارة الخالق السيد الذي انصت الى انغامها طاغور او غيره من الشعراء العظماء .

ولكي نجعل ادبنا وسيلة تحريك وثورة ، لا بد من تطوير اسلوبه لا بد من ان تطور الشكل واللغة والصورة والخيال نفسه لان المضمون قد تغير ولان موقف الشاعر من الحياة قد تغير فعلا وبدانا طريقا جديدا في ادراك الحياة من حولنا .

لقد فرضت التغيرات الضخمة التي فرضها عقل الانسان ومكتشفاته ان يتغير شكل المجتمع وان تتغير علاقات الناس بالاشياء وعلاقات الفرد بالجماعة وهذا التغيير الذي فرضه عقل الانسان بعد ان بشر به عقل الادباء والمفكرين لا بد مغير من اسلوب الادب ليظل الادب ابدا وسيلة تقدم وسلاح ثورة واسلوب استكشاف للمستقبل.

ان معركة المصير التي يخوضها الشعب العربي تحتاج الى معرفة وادراك لو تعاونت الدعاية مع الادب في سبيل ايصالها وايقاظها لدى الجماهير لادت الى تعميق دور كل منهما واتقانه ولكن ادب الاستراتيجية الثقيلة الذي يصنع المستقبل لا بد من ان يتقن اسلوب ربط الماضي بالحاضر ليخرج منهما رؤية مفتحة الافاق عميقة الغور للمستقبل الذي من اجله نعيش اليوم ، وليس الماضي ولا الحاضر الا بعض من عناصر هذه الرؤية اما اخطر عناصرها فهي موهبة الاديب وحسه كما ان اخطر اسلحتها الاسلوب الجديد اسلوب الفن الذي يمكن ان يهز كيان الجماهير كلها .

القاهرة

سهير القلماوي

النشاط الجنسي وصراع الطبقات

تأليف رايموت رايش — ترجمة محمد عيتاني

« هذا الكتاب العلمي يقدم خدمة جليلة الى القراء العرب الذين يبحثون عن اسهام في حلول صحيحة لمشاكلهم على اسس منهجية سليمة ، وبصرف النظر عن المحرمات الغيبية التي لم يعد لها من مكان في هذا العصر .. فهو يدرس ، على اساس علمي واحصائي ، نظري وتجريبي ، مسائل الحياة الجنسية ومشاكلها في مجتمعين اساسيين من المجتمعات الرأسمالية المتطورة : جمهورية المانيا الاتحادية والولايات المتحدة الاميركية. حيث يحدث التطور ـ ليس نحو الافضل ـ لاوضاع الحياة والعلاقات الجنسية تحت نير الاستثمار الرأسمالي الاحتكاري، والشروط الاقتصادية والنفسية ، الضروري توفرها مسبقا ، للنضال ضد القمع الحقيقي الذي تعانيه الطبقات الشعبية في اوضاعها الاقتصادية والمعاشية ، وبالتالي ، الجنسية .

ويضع المؤلف يده على العلل الرئيسية التي تطبع مشاكل هذه المجتمعات الرأسمالية في ميدان الجنس والصراع الطبقي ، وهي ادماج كل الحياة الجنسية لجميع فئات الامة داخل النظام الاحتكاري القائم ، ومسخ الحياة الجنسية وجعلها مجرد سلعة ، واعطاؤها وظيفة غرض استهلاكي ، وحرمان الجسد البشري ـ معجزة الطبيعة الرائعة ـ من مزاياه الجنسية والوجدانية ، وصرف الغرائز الجنسية نحو نزعة عدوانية موجهة .. وليس هذا كله سوى الشكل الراهن للاستثمار الرأسمالي .. ولذلك فان مسألة « الاستراتيجية الجنسية » لن تجد مكانها الا في المجمل المتلاحم من النضال السياسي المضاد للرأسمالية ، دفاعيا وهجوميا ..

وقد اعتمد المؤلف على منهجين قد يبدوان متناقضين : هما المنهج الماركسي والطريقة الفرويدية (علم التحليل النفسي) ليؤكد قانونا اساسيا له صفة الشمولية، ويمكن ان نفد من تطبيقه في سائر المجتمعات النامية ، بما فيها مجتمعنا العربي، وهو « قانون التكييف الرأسمالي الذي يلي لمظاهر وممارسات العلاقات والحياة الجنسية لخدمة المجتمع الرأسمالي ، مجتمع الاستثمار والاضطهاد لجماهير المنتجين »

صدر حديثا — ٦٠٠ ق . ل .